المحاضرة الثالثة/تاريخ الفكر اللساني 2 (عند الهنود، واليونان، والرومان)

الهدف العام: أن يعرف الطالب تاريخ الدراسات اللسانية الغربية قبل سوسير

الهدف الخاص: أن يعرف الطالب كيفية تطور المعارف اللسانية والتأثير والتأثر بين الأمم في هذا المجال.

الهدف الإجرائي: أن يعرف الطالب أهم العلماء وأهم أعمالهم الخالدة في مجال الدراسات اللسانية.

مقدمة:

 كانت الأمم القديمة تعتني بكلامها، وفنون تعبيرها، حيث بدأت الحضارات الإنسانية تعيير الاهتمام للغة منذ وقت مبكر، لاسيما أن اللغة عند كثير منهم تكتسب صبغة دينية، إذ كانت عندهم: لغة الكهان، لغة العبادة، فضلا عن كونها لغة التعامل في مختلف الشؤون اليومية.

أولا/ التفكير اللساني عند الهنود:

لقد كان الهنود أول الدارسين للغتهم دراسة علمية بمفرداتها، وأبنيتها، وتقسيم أجزاء الكلام من حيث أصواته المفردة، ولغتهم هي اللغة السنسكريتية[[1]](#footnote-2)\* التي ظهرت حوالي (الألف الثانية قبل الميلاد)، كان يستخدمها الآريون وهم: قبائلمن جنوب روسيا، وهم الذين غزوا الهند، واستقروا في تلك المنطقة كما توسع استعمال هذه اللغة في شمال الهند، وقد سيطرت على لهجات الأهالي.

لقد دون الآريون عاداتهم ومختلف طقوسهم الدينية بهذه اللغة، وقد جمعوا هذه النصوص في كتاب" الفيدا"، غير أنهم طوروها أثناء احتكاكهم بلغات الهند الشمالية، فتغيرت نوعا ما لكن علماءها نهضوا لخدمتها، فوضعوا لها القواعد، واستخرجوا منها أبنية المفردات، فصارت بذلك لغة السياسة، ولغة الأدب، كما دونوا جميع الكتب المقدسة بهذه اللغة" مجموعة أناشيد الفيدا".

 إنّ عامة الشعب قد آثرت استعمال اللهجات العامة عند التخاطب، ومن أشهرها "لهجة بالي"، ويرى علماء اللسان أنّ: السنسكريتية تمثل اللغة الأصلية للغات الهندو أوروبية، غير أنها تعدّ اليوم لغة ميتة لأنها زالت من الاستعمال عدا الأمور الدينية.

 ويرجع الفضل إلى عالم من علماء الهند وهو: النحوي المشهور (بانيني) عاش في القرن الخامس قبل الميلاد في تدوين هذه اللغة، ووضع قواعدها النحوية، وذلك بالاعتماد على بحوث سابقيه من اللغويين الهنود،وقد زالت اللغة السنسكريتية في ذلك العهد الغابر، وقد ظهر كتاب نحوي جليل جدا هو كتاب "الأست أدهيايي" ومعناه "الكتب الثمانية" يشمل على 4000قاعدة مختصرة، وتعريفات موجزة تتصف بطابع منطقي.

إنّ النحو الهندي قد اهتم –بالإضافة إلى القواعد النحوية التعليمية-بتحليل أصوات اللغة، ووصفها وصفا دقيقا، وذلك ليبقى النطق بالجمل الدينية نطقا صحيحا، وهو أول وصفي علمي لأصوات تضمن تقسيما محكما للحروف وتركيبها، ومخارجها من الحلق إلى الشفتين.

فصل (بانيني) أبنية المفردات ووصف مادتها الأساسية، وبالتالي يكون أول من وضع علم الصرف، كما بيّن ما يلحق الكلمات من لواحق وما يسبقها من سوابق تكون سببا في تغيير معنى الكلمة، كما يكون أول من حدّد مفهوم المادة الأصلية للكلمة، كما أوضح أصولها في الجملة، وما يلحقها من تغيير وذلك حسب موقعها في مدرج الكلام.

كما تكلم النحاة الهنود في أصل اللغة وقالوا:" إنّها من أصل إلهيوليست اصطلاحية.

ثانيا/ العلوم اللسانية عند اليونان:

 استعار اليونانيون من الفينيقيينكتابتهم الهجائية، إلا أنهم أضافوا عليهم بأن جعلوا إلى جانب الصوامت ما يُعرف بالصوائت وأشباه الصوائت، وذهبوا إلى أن الصامت لا يمكن أن ينطق به إلا مع صائت أو شبه صائت، كما استبدلوا حروفا فينيقية بحروفهم.

وكانوا قد تحدثوا عن قضية أصل اللغة، وانقسموا ثلاثة أقسام فمنهم من قال:

-إنّ اللغة توجد بالطبع، فلكل شيء اسم سديد الدلالة مطابق لمدلوله تماما (قراطولوس وأفلاطون).

-لكل اسم دلالة طبيعية أولية إلاّ أن الأسماء لا بد لها من واضع.

- لا مطابقة بين الاسم والمسمى إلاّ بالوضع يقول أرسطو:" الاسم هو لفظة دالة بتواطؤ."

وقد تحدثوا عن نظام الجملة وأنواع الجمل وهي عندهم اسمية وفعلية، وعن أزمنة الأفعال وهي ثلاثة: ماض ومضارع(حاضر)، ومستقبل، واهتموا بأقسام الكلام، حيث قسم أفلاطون الكلام اليوناني إلى اسم وفعل وهي أقوى الأقسام عندهم، وقد عرف الاسم على أنه من يقوم بالفعل وهو قريب من مفهوم الفاعل عندنا، أما الفعل فيدل على حدث أو صفة (لأن طبيعة الأفعال هي التي تعطي الصفات)، أما أرسطو فقد تحدث عن فروع العبارة أو أقسام الكلام وجعاها سبعة وهي:" الحرف والمقطع والرباط والاسم والكلمة(الفعل)، والتصريف، والكلام.

أمّا المدرسة الرواقية[[2]](#footnote-3)\*فقسمت الكلام أربعة أقسام هي الاسم والفعل واحرف، والرابط، وأدرجت الصفة في قسم الأسماء كما هي الحال في العربية، كما تحدثوا أول مرة عن الحالة الإعرابية، وقد أسس اليونانيون مدرسة في النحو هي المدرسة الإسكندرية بداية القرن 3ق م ومن علماءها ثراكس صاحب كتاب " في النحو الإغريقي" Téchné Gramatiké" وهو كتاب يقع في 15 صفحة /25 جزء/ 400 سطر، وقد قسم الكلام إلى ثمانية أقسام بإضافة قسم على التقسيم السباعي لأرسطو وهي: الاسم، الكلمة(الفعل)، الفاصلة، الخالف، المشبه بالاسم والكلمة، تابع الكلمة، أداة الإضافة، الرباط.

والنحو عنده هو:" المعرفة العلمية للاستعمالات العامة لكل من الشعراء والكتاب"

وهو ستة أجزاء كبرى:[[3]](#footnote-4)

1. قراءة صحيحة تتفق مع قواعد النبر.
2. تفسير مع ما يجري استعماله مع صور البيان.
3. تحديد للألفاظ الغامضة والمعاني القديمة.
4. بحث عن أصول الكلمات.
5. بحث عن التناسب اللغوي أي استنباط الأنظمة القياسية.
6. نقد الشعر حتى يُعرف أيه أحسن.

والملاحظ أن الدراسات النحوية عندهم تضم علم الأصوات والبلاغة والبحث في أصول الكلمات، للمفاضلة بين الأشعار أي إن الفكر اللساني ارتبط عندهم بالأدب عكس الفكر الهندي والعربي الذي ارتبط بالدين والنصوص المقدسة.

ثالثا/ العلوم اللسانية عند الرومان:

أفاد اليونانيون الرومانيين بمعلوماتهم اللسانية فنشأت مدرسة نحوية لاتينية كان من أشهر علمائها: فارو(Varro) المتوفي في القرن الأول قبل الميلاد صاحب كتاب" في اللغة اللاتينية" وهو كتاب يتكون من 26جزءا، تحدث فيه عن أهم القضايا النحوية متناولا مسألة "القياس والشذوذ"، وتكمن أهمية عمله في كونه لم ينظر إلى ظاهرة الشذوذ في اللغة على أنها ظاهرة سلبية بل قال:" إن لها دورا في توليد المفردات والمعاني الجديدة" فاهتم كثيرا بقضايا الاشتقاق، وصنف المسائل اللغوية في ثلاث علوم: علم الصرف، علم التركيب، علم أصول الكلمات.

كما قسم الكلام اللاتيني إلى أربعة أقسام على شاكلة تقسيم المدرسة الرواقية اليونانية، وهذه الأقسام هي: الكلمات ذات الحالات (الأسماء والصفات)، الكلمات التي لها زمن(الأفعال)، الكلمات التي لها حالات وأزمنة (أسماء الفاعل والمفعول)، الكلمات التي لا تحمل زمن(الظروف)، ويبدو أنه يقصد ظروف المكان بالمعنى العربي.

ومن علمائهم أيضا نذكر كواتيليانو وله كتاب" مناهج صناعة الكلام" تطرق فيه إلى فنون الكتابة وسنن الكلام أي محتواه قريب مما سماه الجاحظ عندنا "بلاغة الكلم وبلاغة القلم" وقد دارت مناقشاته وشروحه حول هاتين البلاغتين.

أما دوناتو صاحب كتاب" الفن الأصغر في الأقسام الثمانية من صناعة الكلام" فهو على شاكلة كتاب" ثراكس" غير أنه كتاب بلاغي بامتياز.

وما نشير إليه هنا أن الرومانيين اهتموا أيضا بفنون صناعة الكلام، حيث كانت لهم اهتمامات كبيرة بالجانب الجمالي في اللغة شأنهم شأن العرب في عصورهم الأولى. فالكتابين الأخيرين يحملان معا مصطلحا كثيرا ما تردد في نقدنا العربي وهو مصطلح الصناعة (ومن أشهر الأمثلة على ذلك كتاب" الصناعتين لأبي هلال العسكري).

خاتمة:

من تتبعنا للفكر اللساني القديم يتبين لنا تفوق الهنود على اليونانيين والرومانيين في معالجة القضايا اللسانية وهذا نابع من سببين: أولا / لأن اللغة والدراسات المرتبطة بها ارتبطت بنطق الجمل الدينية فاكتسبت قداستها، وثانيا أنهم مالوا إلى ملاحظة الظاهرة اللسانية وبالتالي طبقوا المنهج الوصفي الذي يعطي حقيقة الظاهرة اللسانية بدقة. في حين غلب على الدراسات اللسانية الأخرى الجانب التاريخي وكذا المعياري خاصةفي النحو اليوناني.

1. \*- السنسكريتية من "السنسكريت" ومعناها:" ما لا عيب فيه ولا نقص، الخالي من اللحن، أي؛ إنّ معناها اللغة الصافية النقية. [↑](#footnote-ref-2)
2. \* - وهي مدرسة ظهرت في أثينا أسسها زينون الإيلي سنة 308 ق م. [↑](#footnote-ref-3)
3. - ينظر النصوص اليونانية نشر بيكر:

Bekker. Anecdota greca. P.629 [↑](#footnote-ref-4)